العرب
الإثنين 2020/01/20
السنة 42 العدد 11592

الأدب النسوي العربي ميراث غائب

ناقدات يتحدثن عن نسويات الغرب ويسكتن عن النسويات العربيات

لا بد من وعي نسوي جديد (لوحة للفنانة هيلدا حياري)

الكثير من النسويات العربيات اليوم يكررن مقولات قديمة لنسويات غربيات، ولا يكتفين بذلك بل يهملن دور النسويات العربيات ويغضضن الطرف عن إنجازاتهن الثقافية التي كان لها الأثر الكبير في الثقافة العربية، وسواء كان هذا عن جهل أو تعمد، فإنه من الضروري الالتفات إلى تعديل المسار من خلال رد الاعتبار للنسويات العربيات والبناء على ما أنجزنه.

مفيد نجم
كاتب سوري

أدركت الناقدة النسوية في الغرب في مرحلة مبكرة أن من أولى مهامها نفض الغبار عن التراث الأدبي النسوي، وذلك من خلال إعادة التعريف به عبر إعادة نشره ودراسته في ضوء رؤية منهجية جديدة تعيد الاعتبار له.

وعندما انتقل النقد النسوي الغربي إلى ثقافتنا ظل هذا النقد مشغولا بالبحث في سمات النص الروائي النسوي دون الأجناس الأدبية الأخرى مثل الشعر، على غرار ما فعلته الناقدات النسويات في الغرب.

مفارقات النسويات

لقد مضى على توطين النقد النسوي في ثقافتنا العربية زمن لا بأس به، لكن الأدوار التي كان يفترض بهؤلاء الناقدات أن يقمن بها لم تتحقق حتى الآن.

في أولويات هذا النقد تأتي إعادة نشر التراث النسوي العربي بالطريقة التي تليق به، إضافة إلى إعادة قراءة هذا التراث برؤية منهجية حديثة، والتعريف بالأدوار الثقافية التي لعبتها الكاتبة العربية في مراحل مبكرة من تاريخها، وكانت بمثابة علامات مهمة في تاريخ الحياة الثقافية العربية.

إن أهمية هذا الدور تتمثل في وصل ما انقطع في تاريخ الكتابة النسوية والأدوار التي لعبتها الكاتبة العربية سواء على صعيد الإسهام النسوي خصوصا والأدب العربي عموما، أو من خلال النوادي الثقافية والصالونات الأدبية التي كانت فضاء للحوار والتفاعل ومناقشة قضايا الأدب والثقافة والفن.

إن مشكلة النقد النسوي العربي تتمثل في أن الغالبية من هؤلاء الناقدات يعملن في الحقل الأكاديمي ما أثر كثيرا على القيام بهذا الدور في حياة ثقافية ما زال فيها دور المرأة الثقافي خاضعا لجملة من الظروف والعوامل الاجتماعية والتربوية والسياسية المعيقة. لكن هذه الملاحظة لا تعفي المرأة الناقدة من القيام بالأدوار التي يستوجب عليها القيام بها، خاصة عندما تكون جزءا من الخيارات الفكرية والسياسية التي اختارتها. وهكذا تبدو المفارقة واضحة عندما تطيل هؤلاء الناقدات الحديث عن الأدوار التي لعبتها فرجينا وولف وسيمون دو بوفوار وجوليا كريستيفا في تاريخ النقد النسوي والكتابة النسوية، في حين يسكتن عن الأدوار التي لعبتها بعض الكاتبات والمثقفات العربيات في تاريخ الثقافة العربية، والتي لا تقل أهمية عن أدوار سابقاتها من النسويات الغربيات سواء من الناحية التاريخية أو الأدبية.

لذلك لا يكفي أن تحاول هؤلاء الناقدات دراسة الأدب النسوي الراهن المتمثل في الرواية وكأن أدوار المرأة الكاتبة والصحافية العربية بدأت الآن، في حين يغيب جانب هام من هذه الأدوار التي عبرت، في مرحلة تاريخية مبكرة بعضها يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر والبعض الآخر إلى عشرينات القرن الماضي، عن وعي المرأة المبكر بأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه في إغناء الحياة الأدبية العربية وتأكيد دور المرأة الأساسي في هذا المجال. من هنا فإن استعادة صيرورة هذه التجربة ووصل ما انقطع فيها يتطلبان استعادة هذه الأدوار وأهم أعلامها والأثر الذي خلفته في الحياة الثقافية العربية، وهي مسؤولية هؤلاء الناقدات النسويات قبل أن تكون مسؤولية الجهات الثقافية الأخرى، التي لا يبدو أنها معنية باستعادة هذا التراث وتجديد علاقتنا به في ضوء رؤية معاصرة وجديدة.

مشروع لا بد منه

كانت المرأة العربية الكاتبة والصحافية هي الأكثر وعيا بأهمية العمل الثقافي الجمعي وأثره في تعزيز الحياة الثقافية العربية، كما ظهر ذلك من خلال المجالس الكثيرة التي أقامتها واستقطبت من خلالها أهم أعلام الأدب.

ولأن المرأة الكاتبة والصحافية كانت هي الأكثر رعاية لهذه المجالس فقد ارتبطت هذه المجالس والصالونات بها بامتياز. إن هذه الظاهرة التي لم تدرس حتى الآن بصورة معمقة ومنهجية تحتاج من الناقدات النسويات إعادة قراءة وتحليل للتعريف بالأدوار الهامة التي لعبتها والتي عبرت عن وعي المرأة المبكر بأهمية دورها من خلال المشاركة الفاعلة في تنشيط الحياة الثقافية وفتح باب الحوار حول قضاياها ومسؤولياتها في تحقيق النهضة وتجديد الوعي وتكريس قيم الحياة الجديدة.

> من الضروري إعادة قراءة التراث النسوي برؤية منهجية حديثة، والتعريف بالأدوار الثقافية التي لعبتها الكاتبة العربية

لقد بدأ ظهور الروابط والصالونات الأدبية بصورة لافتة منذ مطلع عشرينات القرن الماضي، وقد لعبت الحواضر العربية مثل القاهرة ودمشق وحلب وبيروت دورا أساسيا في بروزها. والملفت للنظر محدودية الاهتمام بدراسة دلالات هذه الظاهرة وما الذي تعنيه على المستوى السوسيولوجي، خاصة وأن هذه الأدوار لم تقتصر على الأدب والثقافة بل تعدتهما إلى الأدوار النضالية ضد المستعمر ومن أجل نشر أفكار النهضة والتجديد في المجتمع، ما يدل على مشاركة هامة للمرأة في مجالات الحياة المختلفة وعلى تأثرها بالأفكار الجديدة للثقافة الغربية، وهو ما تتم الإشارة إليه غالبا من خلال عدد من أسماء أعلام النهضة الرجال دون أن تتم الإشارة إلى المرأة في هذا المجال.

من هنا تبدو أهمية الدور المنوط بالناقدات النسويات العربيات لاستعادة هذا التاريخ والكشف عن رموزه وتأثيره في الثقافة والمجتمع، إضافة إلى دراسة دلالاته ومعناه خاصة وأن أغلب الصالونات الأدبية ارتبط ظهورها بالمرأة التي كانت تنظر إلى الثقافة من منظور جمعي وتسعى إلى دمج المرأة في المجتمع. إن قيام بعض المحاولات الخجولة والمحدودة في مراجعة هذه الأدوار من قبل بعض الجهات النسائية لا يكفي للتعريف بهذه الأدوار وبيان الأثر الذي خلفته في عصرها على الحياة الثقافية والاجتماعية إذ لا بد من العودة إلى المصادر الأولى والتنقيب والبحث في المصادر التي ما زالت مجهولة لتكوين صورة شاملة وعلمية عن هذا التاريخ وأهم أعلامه وأسباب ظهوره في مدن دون أخرى لوضع هذا التاريخ في سياقه الاجتماعي والسياسي والثقافي.

لقد لاحظنا أن ناقدات نسويات في الغرب نهضن بمسؤولية كهذه أعدن فيها نشر أهم الأعمال الأدبية التي ظهرت في بداية التاريخ الأدبي النسائي على نفقتهن الخاصة ومن خلال دور نشر خاصة بهن، بينما قامت مجموعة أخرى بدراسة هذا المنجز والكشف عن الملامح المشتركة فيه ودلالاته، ما عبر عن الوفاء للإسهامات الأدبية التي قدمتها هؤلاء الكاتبات وما كانت تعبر عنه على مستوى تجربة المرأة الكاتبة من قضايا تخص حياتها وحريتها في مجتمع ما زال محكوما بسلطة أبوية متحيزة.

من هنا تظهر أهمية أي مشروع يمكن للناقدة النسوية العربية أن تقوم به على هذا المستوى على الأقل من أجل تجديد علاقتها حاضرا بماضيها الذي ناضلت كاتبات ومثقفات من أجل مستقبل المرأة الكاتبة وتقديم صورة مشرقة عن هذا التاريخ والأدوار التي لعبتها على طريق نهضة وتطور المرأة والمجتمع والثقافة.

قصص مصرية ترسم حياة موازية

ميلانو (إيطاليا) – في كتابه القصصي الرابع "هندسة العالم" يدخلنا الكاتب والقاص المصري محمد عبدالمنعم زهران إلى عوالمه الغرائبية دون مقدمات، ومنذ قصة "الفيلة" التي تنوي هدم المدينة، وصولا إلى آخر قصة "أريد أن أكون نجمة" مرورا بـ"هندسة العالم" وغيرها من قصص المجموعة الثلاث عشرة، سنجد أنفسنا أمام بوابات هائلة لهذا العالم، الذي هندسه زهران بسلسلة حكايات متماسكة وعلاقات إنسانية تستند إلى واقع يتقاطع مع المتخيل الميتافزيقي، سعيا وراء توليفة ساحرة من الأحداث والمشاهد والأبطال الهامشيين.

هكذا وأمام تلك الأبواب المقفلة بمفاتيح ضخمة لا نحتاج إلى وضعها في القفل وتدويرها إلا للحظة تأمل وتركيز ذهني نتقمص فيها الضمائر التي تقف وراء كل قصة، حتى تلك التي يتحدث فيها الكاتب على لسان الحيوانات والأشياء.

عالم زهران يأخذ هندسته من الحكي، والانشغال بالتفاصيل المغيبة في زحمة الحياة، حيث نكتشف أن ملامح المدينة، بمزاجها المتعب والمتقلب، ما هي في الأخير سوى ملامح ساكنيها، في المركز والأطراف، في الشوارع، وفي العتمة التي تضيئها الكتابة الذكية، حين ترسم لنا حيوات شخصيات يجعلنا القاص نحبها ونهتم بها، ونعود معها إلى البيت، أو نرافقها إلى منازل الجيران، ونحو الحقول، وأكثر؛ نحلم أحلامها، ونرى كوابيسها، نشعر بمخاوفها، ونشم روائح الشر حولها كما الحب وكل المشاعر الإنسانية المتناقضة.

سنلتقي بفيلة هائجة، وغرفة تسحبها سحابة، و"حياة بجوار الحياة"، نقرأ في بدايتها، ما يشبه البيان الإنساني "لكل هذا، لا تقتله، يا ولدي! وتذكر باستمرار أن هناك قواعد للعيش، يتحتم علينا أن نحافظ عليها، قواعد ارتضيناها منذ أزمنة سحيقة، ولكنها باقية أبدا كالنهر القديم في سره الرتيب. الحياة تمضي هكذا، بإمكاننا أن نمضي بجوارها، فنواصل العيش أو أن نتوقف، فنهلك".

> من خلال 13 قصة يعيد محمد عبدالمنعم زهران هندسة الحياة والشخصيات والأحداث والأماكن بشكل غرائبي

ونذكر أن "هندسة العالم" ضمت 13 قصة، وجاءت في 128 صفحة من القطع الوسط، وصدرت أخيرا ضمن سلسلة "براءات" لسنة 2020، التي تصدرها منشورات المتوسط – إيطاليا منتصرة فيها للشعر، والقصة القصيرة، والنصوص.

عودة الندى على زهرة السينما السودانية

الخرطوم – تنطلق غدا الثلاثاء الدورة السادسة من مهرجان السودان للسينما المستقلة بمشاركة 81 فيلما بين الروائي والوثائقي والطويل والقصير تعرض في تسعة مراكز عرض.

تشارك في المهرجان أفلام من مصر وسوريا ولبنان وتونس والمغرب وإيطاليا وألمانيا والنرويج وفنلندا والبرتغال وتركيا وإيران ومقدونيا والبرازيل والأرجنتين وجنوب أفريقيا وكينيا.

وتنظم المهرجان مؤسسة فيلم فاكتوري التي تأسست في 2010 بهدف تعزيز الثقافة البصرية بشكل عام وإعادة توطين السينما في السودان بشكل خاص.

وقال مؤسس ورئيس المهرجان طلال عفيفي في مؤتمر صحافي عقد أخيرا بالخرطوم "النسخة السادسة من مهرجان السودان للسينما المستقلة تحتفي ببشائر سودان جديد، وعودة الندى على زهرة السينما السودانية".

وأضاف "هذه النسخة مقدمة امتنانا لكل الأرواح التي تحولت إلى أنجم هادية على طريق السودانيات والسودانيين، ولكل الفنانين السودانيين الذين واجهوا الصعاب أثناء ممارستهم لفنهم وتوثيقهم للحياة في أصعب وأحلك لحظات تاريخنا المعاصر".

وأشار عفيفي إلى أن رسالة المهرجان هي احتفاء بالبصمة الجديدة في حراك السينما السودانية، الذي انطلق بفضل كل من قام بإضافة لمسة أو فكرة بأي شكل من الأشكال.

وكان المهرجان الذي تأسس في 2014 ألغى دورة العام الماضي بسبب الأوضاع السياسية والأمنية في السودان.

ويشمل برنامج المهرجان الممتد حتى 27 يناير الجاري عدة ورش عمل يقدمها فريق متخصص، منها "تنسيق الأزياء في الأفلام" التي تقدمها هديل عثمان و"خلق بيئة مونتاج مثالية" للمونتير أحمد بحار.

كما يشمل البرنامج محاضرة للعراقي قاسم عبد بعنوان "السرد القصصي في الفيلم الوثائقي" وأخرى للإيطالي ريكاردو بريفيه بعنوان "إنتاج الوثائقيات الأنثروبولوجية".

> مهرجان السودان للسينما المستقلة يعود بعد انقطاعه في دورة جديدة تقدم عروض أفلام ومسابقات وورش عمل

وأوضحت المديرة التنفيذية للمهرجان إيلاف الكنزي أن المهرجان يقدم 30 فيلماً طويلاً تعرض لأول مرة في السودان وأخرى لأول مرة في أفريقيا، مشيرة إلى أن 9 أفلام سودانية تتنافس على جائزة حسين شريف لأفضل فيلم سوداني.

ويتزامن موعد انطلاق المهرجان كل عام في 21 يناير مع ذكرى وفاة السينمائي السوداني حسين شريف (1934 – 2005).

وفي هذا العام يعرض المهرجان في الافتتاح فيلم "أوفساييد الخرطوم"، للمخرجة مروة زين، الذي شارك في العديد من المهرجانات العربية والغربية خلال 2019 ولم يعرض بعد في السودان.

فيلم «أوفساييد الخرطوم» يفتتح المهرجان